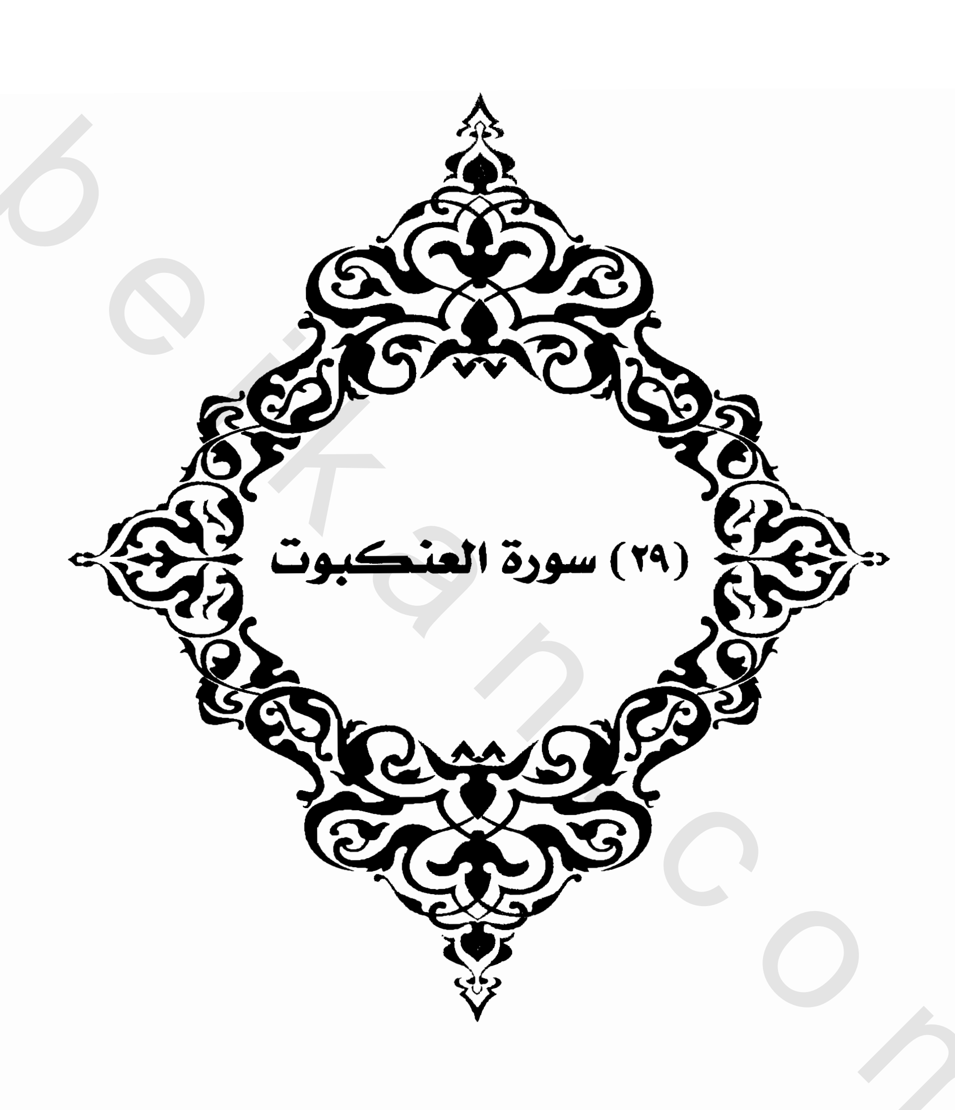


(٢٩) سورة العنكبوت



من الإشارات الكونية فى سورة العنكبوت

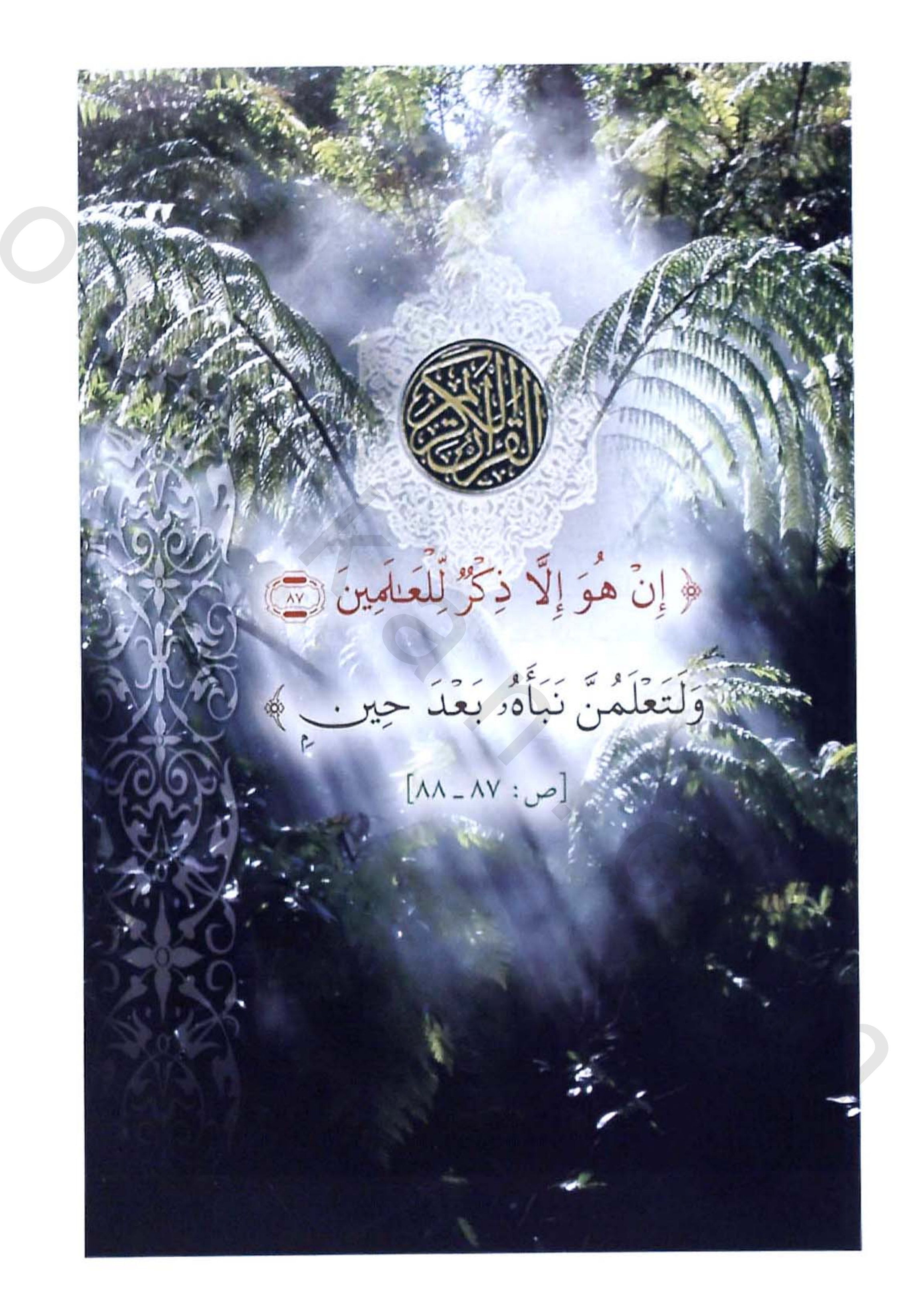
(١) التأكيد أن الله (تعالى) هو الذى يبدئ الخلق ثم يعيده، وأن ذلك على الله يسير، ونحن نرى صورة مصغرة لذلك فى دورة الحياة والموت التى تتكرر بالتناسل المستمر إلى أن يشاء الله، ودورة تخلق أجرام السماء وإفنائها إلى دخان الكون، وإعادة خلقها منه بإرادة الله (تعالى)، ودورة الماء حول الأرض، ودورة الصخور، ودورات تشكل سطح الأرض، ودورات تخلق كل من المادة والطاقة وتبادلهما، وإفنائهما، وإعادة خلق كل منهما، إلى غير ذلك من دورات.

(٢) الإشارة إلى أن السير فى الأرض، وتأمل صخورها، ودراسة بقايا الحياة فى تلك الصخور هى وسيلة تعرف الإنسان على تاريخ الأرض، وعلى كيفية بدء الخلق، وهذا ما أثبتته الدراسات فى مجال علوم الأرض.

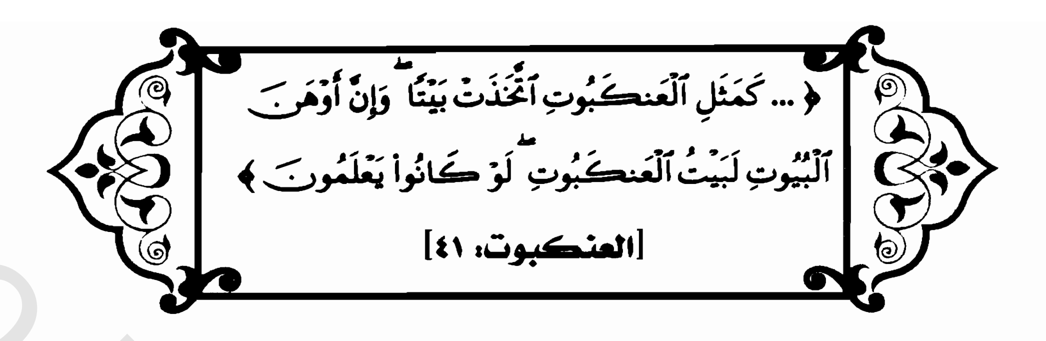
(٣) تأكيد أن النشأة الآخرة بعد تدمير الكون سوف تسير على الخطى نفسها التى بدئ بها الخلق، وتتبع النظام نفسه.

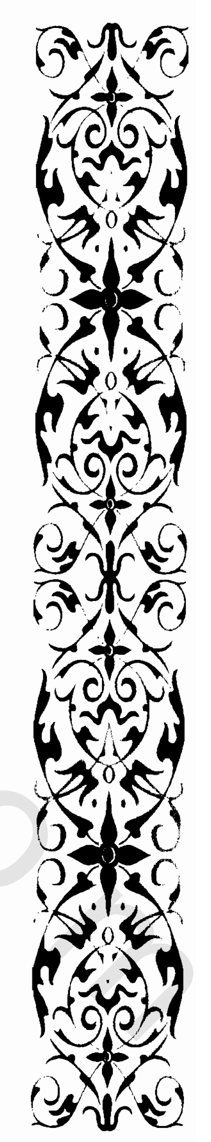
(٤) تأكيد أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق من الناحيتين المادية والمعنوية، وهو ما أثبتته الدراسات المتأخرة فى علم دراسة حيوانات الأرض.

(٥) هذا بالإضافة إلى العديد من الإشارات التاريخية والنفسية التى تقع من الدراسات العلمية فى الصميم، ولكنها تخرج عن إطار دراستنا للإشارات الكونية فى كتاب الله.



القرآن الكريم
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾
[ص: ٨٧ ـ ٨٨]





من الإشارات الكونية فى سورة العنكبوت ـ والتى سوف نتناولها ـ هى التأكيد على أن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت على الإطلاق من الناحيتين المادية والمعنوية، وهو ما أثبتته الدراسات المتأخرة فى علم دراسة حيوانات الأرض.

العنكبوت فى منظور العلم

العنكبوت حيوان من مفصليات الأقدام (Arthropoda)، يصنف فى طائفة العنكبيات (Class Arachnida) التى تجمع رتبة العناكب أو العنكبوتيات (Order Araneida) مع عدد من الرتب الأخرى التى تشمل مجموعات العقارب، والفاش، والقراد.

والعنكبوت (Spider) ينقسم فيه الجسم إلى مقدمة يلتحم فيها الرأس مع الصدر، ومؤخرة غير مقسمة تشمل البطن. وتحمل المقدمة أربعة أزواج من الأقدام، وزوجين من اللوامس، وزوجا من القرون الكلاّبية (Chelicerae) على هيئة الكماشة أو المخالب التى تحتوى على غدد السم، ويفصل مقدمة الجسم عن مؤخرته خصر نحيل.

وللعنكبوت عيون بسيطة يصل عددها إلى الثمانى، وقد يكون أقل من ذلك، وهو حيوان مفترس يعيش على أكل الحشرات، وله جلد سميك مغطى بالشعر، ينسلخ عنه من سبع إلى ثمانى مرات حتى يصل إلى اكتمال النضج. وعلماء الحيوان يعرفون اليوم أكثر من ثلاثين

ألف نوع من العناكب التى تتباين فى أحجامها (بين أقل من الملليمتر والتسعين مليمترا) وفى أشكالها، وألوانها، ومعظمها يحيا حياة برية فردية فى الغالب إلا فى حالات التزاوج وفقس البيض عن الذرية، وتمتد بيئة العناكب من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع خمسة آلاف متر، وللعنكبوت ثلاثة أزواج من نتوءات بارزة ومتحركة فى أسفل البطن لها ثقوب دقيقة يخرج منها السائل الذى تصنع منه خيوط نسيج البيت الذى يسكنه، ولذلك تعرف باسم المغازل، وهذه المادة السائلة التى تخرج من عدد من الغدد الخاصة إلى خارج جسم العنكبوت عبر مغازل المؤخرة تجف بمجرد تعرضها للجو، وينشأ عن جفافها خيوط متعددة الأنواع والأطوال والشدة، تختلف باختلاف الغدد التى أفرزتها.

وقد يمكث العنكبوت فى بيته الذى يزاول فيه جميع أنشطته الحياتية، وقد يتخذ له عشّا أو مخبأ غير البيت يرتبط به بخيط يعرف باسم خيط المصيدة. ويهرب إلى هذا المخبأ فى حالات الخطر.

من الدلالات العلمية للنص الكريم

أولا: الإشارة إلى العنكبوت بالإفراد

جاء فى لسان العرب تحت مادة (عنكب) أن (العنكبوت) دويبة تنسج فى الهواء وعلى رأس البئر نسجا رقيقا مهلهلا، مؤنثة، والغالب أن لفظة (العنكبوت) اسم للواحدة المؤنثة المفردة، والجمع (العناكب). وتسمية السورة الكريمة بصياغة الإفراد (العنكبوت) يشير إلى الحياة الفردية لهذه الدويبة فيما عدا لحظات التزاوج، وأوقات فقس البيض، وذلك فى مقابلة كل من سورتى النحل والنمل، والتى جاءت التسمية فيها بالجمع للحياة الجماعية لتلك الحشرات.

ثانيا: فى قوله (تعالى): «... اتخذت بيتا ...»

فى هذا النص القرآنى الكريم إشارة واضحة إلى أن الذى يقوم ببناء البيت أساسا هى أنثى العنكبوت، وعلى ذلك فإن مهمة بناء بيت العنكبوت هى مهمة تضطلع بها

إناث العناكب التى تحمل فى جسدها غدد إفراز المادة الحريرية التى ينسج منها بيت العنكبوت. وإن اشترك الذكر فى بعض الأوقات بالمساعدة فى عمليات التشييد، أو الترميم، أو التوسعة، فإن العملية تبقى عملية أنثوية محضة، ومن هنا كان الإعجاز العلمى فى قول الحق (تبارك وتعالى): «...*اتخذت بيتا*...».

ثالثا: فى قوله (تعالى): **«... وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ...»**

هذا النص القرآنى المعجز يشير إلى عدد من الحقائق المهمة التى منها:

(١) إن بيت العنكبوت هو من الناحية المادية البحتة أضعف بيت على الإطلاق؛ لأنه مكون من مجموعة خيوط حريرية غاية فى الدقة تتشابك مع بعضها البعض تاركة مسافات بينية كبيرة فى أغلب الأحيان، ولذلك فهى لا تقى حرارة شمس، ولا زمهرير برد، ولا تحدث ظلا كافيا، ولا تقى من مطر هاطل، ولا من رياح عاصفة، ولا من أخطار المهاجمين، وذلك على الرغم من الإعجاز فى بنائها، فخيوط بيت العنكبوت حريرية دقيقة جدًا، يبلغ سمك الواحدة منها فى المتوسط واحدا من المليون من البوصة المربعة، أو جزءا من أربعة آلاف جزء من سمك الشعرة العادية فى رأس الإنسان، وهى على الرغم من دقتها الشديدة أقوى خمس مرات من نظيرها من الصلب، وتتميز بمقاومة للشد أكبر من مثيلتها من الصلب سواء نسبت تلك المقاومة لوحدة الحجوم أو لوحدة الوزن من الخيط المختبر، بل إن الدراسات الحديثة قد أثبتت أن الخيط من حرير عنكبوت من نوع نيفلا (Nephila) وهو من مجموعة الحائك الدوار (Orbweaver) يعد أقوى ثلاث مرات من مثيله المصنوع من المادة المعروفة باسم كيفلار (Kevlar)، وهى مادة ذات أساس بترولى تستخدم فى صناعة الصديرية الواقية من طلقات الرصاص.

لذلك يعد حرير العنكبوت واحدا من أقوى المواد الموجودة على سطح الأرض؛ لأنه يتحمل شدا يصل إلى ٤٢٠٠٠ كيلوجرام على السنتيمتر المربع، مما يكسبه قابلية هائلة للمط (Stretching)، ويعطيه قدرة على الإيقاع بالفريسة من الحشرات دون أن يتمزق، خاصة وأن العنكبوت يبنى بيته من ضفائر تضم الواحدة منها عددا من هذه الخيوط المضفرة، والمجدولة تجديلا قويا، ولذلك قال ربنا (تبارك وتعالى) أوهن

البيوت، ولم يقل أوهن الخيوط، ويبقى بيت العنكبوت هو أوهن البيوت وأضعفها على الإطلاق، على الرغم من شدة خيوطه.

(٢) إن بيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أوهن بيت على الإطلاق؛ لأنه بيت محروم من معاني المودة والرحمة التى يقوم على أساسها كل بيت سعيد؛ وذلك لأن الأنثى فى بعض أنواع العنكبوت تقضى على ذكرها بمجرد إتمام عملية الإخصاب، وذلك بقتله وافتراس جسده؛ لأنها أكبر حجما وأكثر شراسة منه، وفى بعض الحالات تلتهم الأنثى صغارها دون أدنى رحمة، وفى بعض الأنواع تموت الأنثى بعد إتمام إخصاب بيضها الذى عادة ما تحتضنه فى كيس من الحرير، وعندما يفقس البيض تخرج الصغار (Spider lings) فتجد نفسها فى مكان شديد الازدحام بالأفراد داخل كيس البيض، فيبدأ الإخوة الأشقاء فى الاقتتال من أجل الطعام أو من أجل المكان أو من أجلهما معا فيقتل الأخ أخاه وأخته، وتقتل الأخت أختها وأخاها حتى تنتهى المعركة ببقاء عدد قليل من العنيكبات التى تنسلخ من جلدها، وتمزق جدار كيس البيض لتخرج الواحدة تلو الأخرى، والواحد تلو الآخر بذكريات تعيسة، لينتشر الجميع فى البيئة المحيطة، وتبدأ كل أنثى فى بناء بيتها، ويهلك فى الطريق إلى ذلك من يهلك من هذه العنيكبات.

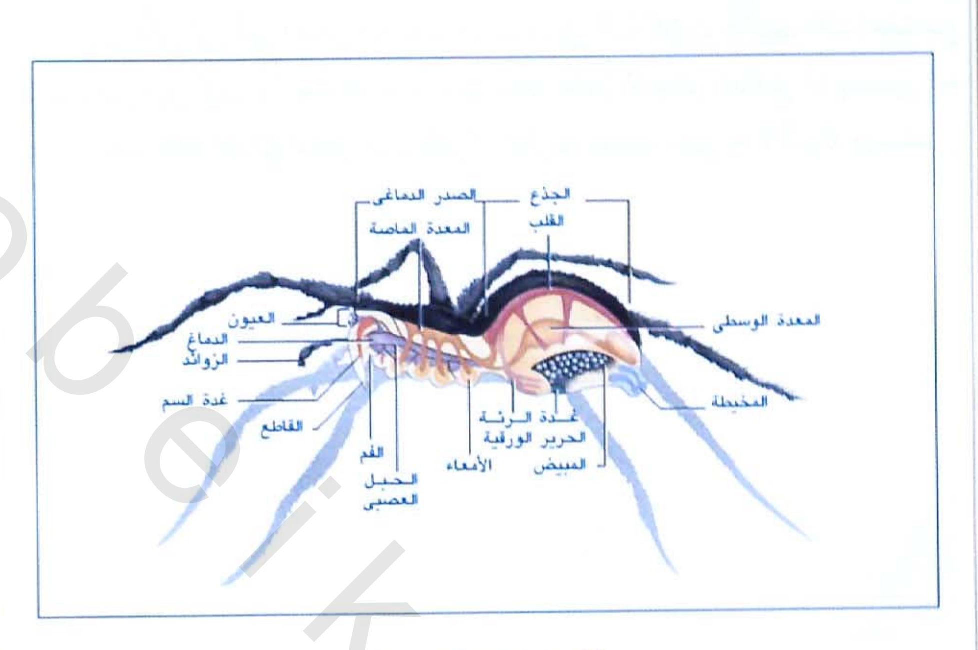
ويكرر من ينجو منها المأساة نفسها التى تجعل من بيت العنكبوت أكثر البيوت شراسة ووحشية، وانعداما لأواصر القربى، ومن هنا ضرب الله (تعالى) به المثل فى الوهن والضعف لافتقاره إلى أبسط معانى التراحم بين الزوج وزوجه، والأم وصغارها، والأخ وشقيقه وشقيقته، والأخت وأختها وأخيها..!!

رابعا: فى قوله (تعالى): «... لو كانوا يعلمون»

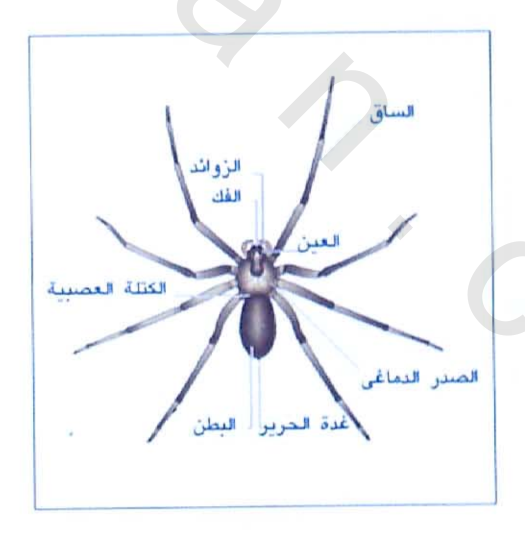
هذه الحقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق فى زمن الوحى، ولا لقرون متطاولة من بعده، حيث لم تكتشف إلا بعد دراسات مكثفة فى علم سلوك حيوان العنكبوت استغرقت مئات من العلماء لعشرات من السنين حتى تبلورت فى العقود المتأخرة من القرن العشرين، ولذلك ختم ربنا (تبارك وتعالى) الآية الكريمة بقوله **«*... لو كانوا يعلمون*»**.

وعلى ذلك فإن الوصف القرآنى لبيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت، هذا الوصف الذى أنزل على نبى أمى (صلى الله عليه وسلم)، فى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل ألف وأربعمائة سنة يعتبر سبقا علميًا لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدرا غير الله الخالق الذى أنزل القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله.

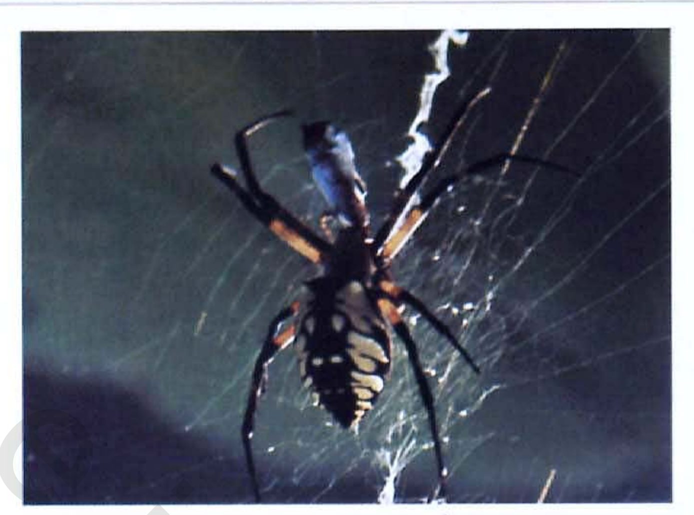
* * *



تشريـــح العنكبـــوت



رســم توضيحـــى للعنكبـــوت



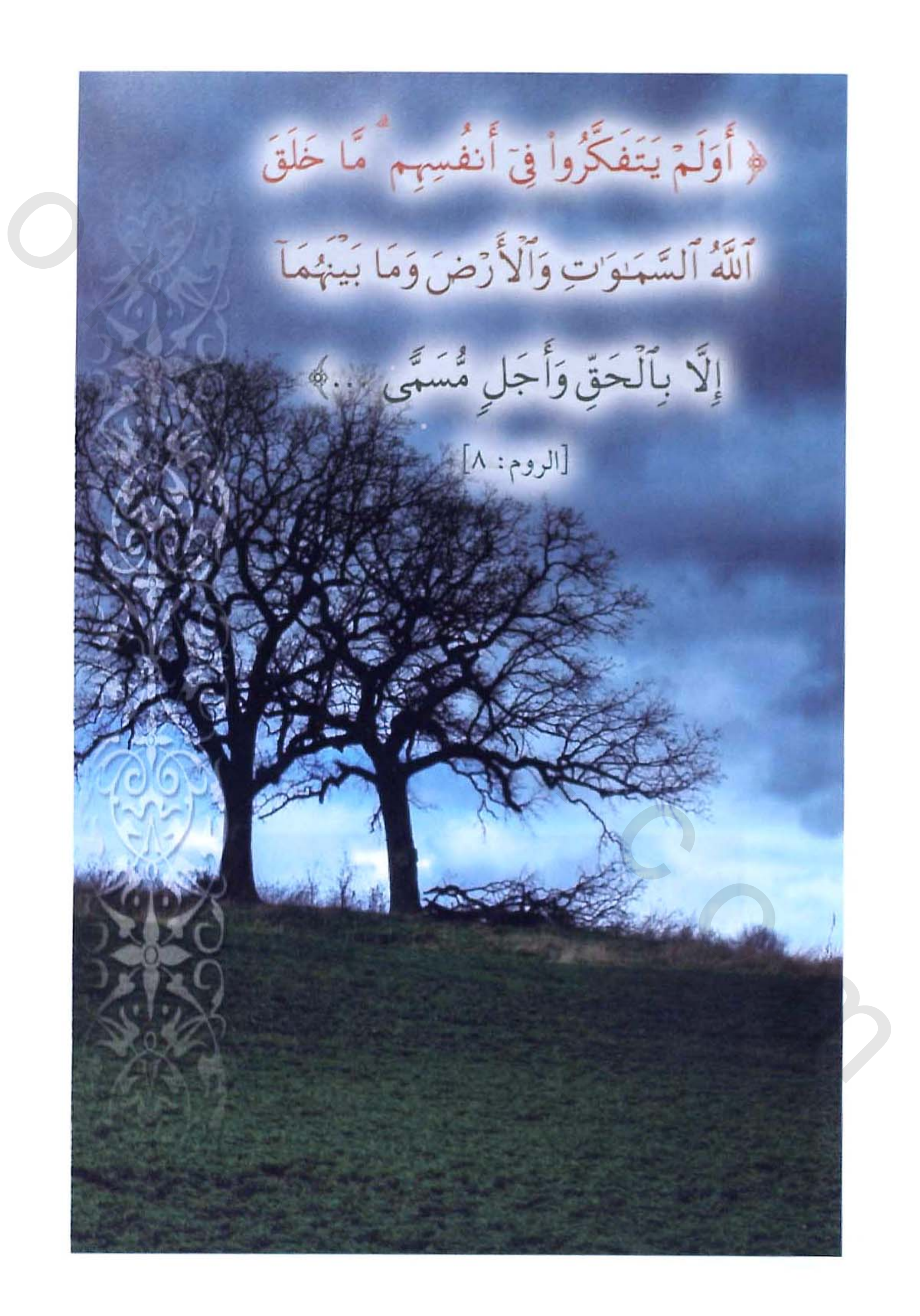
أوهـــن البيـــوت







بيـــت العنكبـــوت



﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ
ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾
[الروم: ٨]